معـاني القرآن الكـريم عند الأزهري في الشواهد القرآنية من كتاب تهذيب اللغة "سورة البقـــرة أنموذجا"

حامد عبد العزيز الشيخ حمـد

الخلاصة:

لعل الإمام الأزهري في كتابه (تهذيب اللغة) قد نحا نحو الفراء والزجاج وغيرهما ممن كتب في معاني القرآن، فكتابه مملوء بالفوائد اللغوية والمعاني القرآنية، إذ يبين فيها أقوال العلماء واختلافهم في معنى المفردة القرآنية فيرجح ويختار من بين الأقوال، بل ونرى له معنى خاصاً بالآية مما ألهمه الله تعالى من تدبر قراءة هذا الكتاب العظيم، لذا قمت بدراسة شواهد قرآنية اخترتها من سورة البقرة في كتابه " تهذيب اللغة " ؛لأبين عناية هذا العالم الجليل بمعاني القرآن الكريم زيادة على أنه مفسر بارع وقد ألف تفسيراً سماه (التقريب في التفسير) وكتاباً ثانياً سماه (تفسير السبع الطوال) ولكنهما مفقودان.

الكلمات المفتاحية: معاني القرآن الكريم ، الازهري ، الشواهد القرآنية ، تهذيب اللغة ، سورة البقرة.

The meanings of the noble Qur'an according to Al-Azhari in the Qur'anic evidence from the book Tahdheeb al-Linguistics Surat Al-Baqarah as a Model

Hamed Abdul Aziz Sheikh Hamad

Abstract:

Perhaps Imam Al-Azhari in his book "Tahdheeb Al-Lugha" has devoted himself to furs, glass, and others who wrote about the meanings of the Qur'an. His book is full of linguistic benefits and Qur'anic meanings, as he shows in it the sayings of scholars and their difference in the meaning of the Qur'anic vocabulary, so he chooses from among the sayings, and we even see him a special meaning of the verse. This is what God Almighty inspired him to contemplate reading this great book, so I studied Qur'an evidence that I chose from Surat al-Baqarah in his book "Tahdheeb al-Linguistics", to show the great scholar's concern with the meanings of the Noble Qur'an in addition to that he is a brilliant interpreter who has composed an interpretation which he called (Taqarib fi Tafsir) and a book Secondly, he called it (Tafsir al-saba al-tawwal), but they are missing.

Key words: The meanings of the Noble Qur'an, Al-Azhari, Qur'anic evidence, Refining the language, Surat al-Baqarah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى وأتمَّ النعمةَ وأسدى، وتحدى الثقلين جِنَّهُم وإنسهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو بسورة من مثله فلم يفعلوا ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، لأنه كلام الله المعجز، أعجز به العرب الفصحاء وأخرس به ألسنة البلغاء، كتاب ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

من تدبر قراءة هذا الكتاب العظيم، لذا قمت بدراسة شواهد قرآنية اخترتها من سورة البقرة في كتابه " تهذيب اللغة " ؛لأبين عناية هذا العالم الجليل بمعاني القرآن الكريم زيادة على أنه مفسر بارع وقد ألف تفسيراً سماه (التقريب في التفسير) وكتاباً ثانياً سماه (تفسير السبع الطوال) ولكنهما مفقودان.

وغلب على الأزهري في هذا الكتاب النقل عن الصحابة والتابعين في معاني القرآن الكريم، فكان من سمات منهجه "التفسير بالمأثور" ولا سيما ما يتعلق بمسائل العقيدة فمنهجه إثبات الصفات لله تعالى كما هي من غير تأويل ولا تعطيل وأيضاً نقل عن أئمة اللغة كثيراً من الأقوال فاعتمد قسما منها وترك القسم الآخر، وأحيانا تتعدد آراء المفسرين، فيفاضل بين آرائهم مختاراً ما يراه قريباً من الصواب.

وقد مهدت لهذا بمقدمة ذكرت فيها أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره، ثم عرفت بالإمام الأزهري ومنهجه تعريفاً موجزاً في المبحث الأَول، ثم ذكرت سبعة عشر شاهداً قرآنياً من سورة البقرة في المبحث الثاني، وأتبعت هذه الشواهد بخاتمة ضمت أهم النتائج التي وصلت إليها، ثم قفيتها بفهرس للمصادر أو المراجع التي اعتمدتها وأفدت منها في البحث. والله تعالى أسأل أولاً وأخيراً أن ينفعنا بالقرآن العظيم وأن يجعل ما كتبت في صحيفة أعمالي إنه سميع قريب مجيب.

المبحث الأول

الأزهري حياته ومنهجه

اسمه ونسبه

هو أبو منصور: محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن أزهر الهروي، وقد عرف بالهروي نسبة إلى بلدة (هراة) مسقط رأسه، وموطن نشأته، وهذا النسب (الهروي) ساقه هكذا تلميذه أبو سعيد محمد بن علي الذي قرأ عليه كتاب معاني القراءات[١]، وهو أعرف به من غيره، والأزهري نسبة إلى جده الأزهري، واسمه يدل أنه عربي الأصل.

مولده ونشأته:

ولد أبو منصور الأزهري في هراة سنة (٢٨٢هـ) وبها نشأ وترعرع، وقد أخذ من شيوخها مختلف العلوم والفنون والتفسير والحديث والفقه والأدب واللغة وغيرها[٢]. وقد أثرت هذه النشأة الدينية والعلمية في كتاباته ولا سيما أنه اشتغل بالفقه الشافعي، وقد ظهر هذا التأثير واضحاً في كتابه (تهذيب اللغة).

ويروى أن الأزهري رحل إلى الحج وبعد الحج وافقت القرامطة الحجاج بالهبير[٣]، فقتلت بعضهم وأسرت بعضًا آخر وكان من الأسرى الأزهري فمكث في الأسر دهراً طويلاً[٤]، ورحل إلى بغداد وسمع من علمائها ثم رجع إلى بلدة هراة وعلم فيها العلم[٥].

---

(١) ينظر: معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة الدكتور عيد مصطفى درويش والدكتور عوض بن حمد القوزي، ط ١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م: ٩١/١.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت،الطبعة: ١، ١٩٧١، ٣٣٤/٤

(٣) الهبير: بالفتح ثم الكسر وهو رمل زرود وقعت عنده معركة ابن أبي سعيد الجنابي بالحُجاج في سنة (٣١٢هـ) فقتل الحجاج وسباهم وأخذ أموالهم، ينظر مراصد الاطلاع، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ١٤٥١/٣٠

(٤) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢–٣٧٠هـ) تحقيق عبد الكريم الغرباوي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية،١٣٨٤هـ–١٩٦٤م، ٦ /١٥٦.

(٥) المصدر نفسه: ٢٧/١.

شيوخـه:

ذكر الأزهري في مقدمة كتاب "التهذيب" جملة من المشايخ الهروبين الذين روى عنهم كتب الأقدمين أو درس عليهم ولازمهم في قراءة مصنفات غريب اللغة والنوادر والحديث والفقه الشافعي وعلوم القرآن ونعنى به التفسير وتأويل المشكل والغريب والقراءات وغيرها من العلوم فأفاد من هذه الكتب جميعها والبحث لا يتسع لذكرهم لكثرتهم، ولكني أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني، وأبا بكر الإيادي، وأبا عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بـ (نفطويه)، وغيرهم [١].

تلاميذه:

أخذ عن الأزهري الكثير من علماء اللغة والأدب خاصة في هراة وفي خراسان وغيرها عامة، منهم أبو عبيد أحمد بن محمد صاحب كتاب الغريبين غريب القرآن وغريب الحديث وقد روى عنه كتاب "التهذيب" ومنهم أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي العالم في اللغة ومنهم أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو، وهو الذي روى كتاب (معاني القراءات)، وغيرهم ممن تتلمذ على يديه[٢].

مؤلفاته:

صنف الأزهري كتباً كثيرة منها "تفسير أسماء الله الحسنى" و" الزاهر في غرائب الألفاظ " وهو معجم في قضايا فقهية ، إضافة إلى ذلك كتباً أخرى اشتهر بها الأزهري، أشهرها كتاب "التهذيب" لأنه يعد موسوعة لغوية فذة، أفاد منها العلماء الذين جاؤوا من بعده في مصنفاتهم، ولعل أشهر الذين أفادوا من التهذيب هو ابن منظور في (لسان العرب)[٣].

---

(١) ينظر: معاني القراءات، ١/٣٩–٤٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/٤٦ –٤٨.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ٣/٦٤، وطبقات المفسرين للداوودي،

وفاته:

أجمع جُل من ترجم للأزهري على أنه توفي ببلدة هراة، وأكثرهم على أنه مات سنة (٣٧٠هـ)[١] قال ياقوت الحموي: (مات فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الغامي في تاريخ هراة في سنة (٣٧٠هـ) ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد الكيتي الهروي في كتاب الوفيات له وزاد في ربيع الآخر)[٢] .

منهجه في التفسير:

يُعد الأزهري إماماً في التفسير، والذي يقرأ التهذيب يتضح له ذلك، ولعل منهجه المنظم والواضح في التفسير أبرز المعالم التي تجعل الأزهري من أئمة التفسير.

فمنهجه في التفسير اعتماده على الرواية والنقل، ولاسيما عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري، وهؤلاء هم أحسن من يؤخذ عنهم التفسير والمناسك في نظر سفيان الثوري[٣]. كما اعتمد في معاني القرآن وتفسير كلماته على الزجاج في كتابه (معاني القرآن) فقد أكثر النقل عنه، إلاّ أنه كان يختار ويرجح بين الآراء كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني.

لقد كانت لشخصية الأزهري الدينية أثرها في كتبه وخصوصاً في كتابه "تهذيب اللغة "، والذي برزت فيه شخصيته بشكل واضح وأخذ التفسير فيه مكاناً مهماً، بل كاد يكون من أهم الظواهر الموجودة عنده فصال وجال في هذا الميدان طارحاً آراءه، جامعاً أقوال المفسرين، مبدياً رأيه فيطرح هذا ويستحسن ذاك ولا يكون طرحه له إلا لسبب. ولم يكن الأزهري غريباً عن

تحقيق علي محمد عمير، مطبعة أميرة،الطبعة الثانية،١٤١٥هـ ١٩٩٤م،١/ ٨٣، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٨م، ١٩/١.

[١] طبقات الشافعية الكبرى،٣/٦٤.

[٢] معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧ – ١٩٩٣، ٢٠ /٣١٢.

[٣] ينظر: الأزهري والمعجمية العربية، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد)، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م. ص ٥٢.

التفسير ولا سيما أن له تفسيراً بعنوان (التقريب في التفسير)، وتفسير (السَبع الطُوال) ذكر ذلك (حاجي خليفة) [١]

و كان الأزهري حذرا ودقيقا في تفسيره ،فقد قال الدكتور رشيد العبيدي: (فالأزهري ينهج في تفسيره نهجا فيه كثير من الحذر والتحرج والدقة والاهتمام بمعاني القرآن أغراضه ومراميه)[٢]. كما كان سلفي المنهج في تفسيره، ويؤكد لنا سلفيته هذه قوله في تفسير قوله تعالى: چ ڈ ڈ ۀ چ القصص: ٣٢.

" أنه بمعنى الرهبة، ولو وجدت إماماً من السلف يجعل الرهب كُمَّاً لذهبت إليه لأنه صحيح في العربية، وهو اشبه بسياق الكلام والتفسير والله أعلم بما أراد"[٣].

وكان على الضد من تفسير القرآن بالأعراف والتقاليد ولغة العصر الشائعة ، ويستحسن أن يكون التفسير بما جاء بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والسلف الصالح، واللغة التي نزل بها فقط بلغة المرحلة الزمنية التي يعيشها المفسر، لأنه قد يحدث تطور دلالي للكلمة فتفسر بغير مراد الله تعالى كألفاظ الصلاة والصيام والحج والزكاة والربا وغيرها من الألفاظ التي كانت تدل على معان محددة قبل مجيء الإسلام وهي المعروفة بالمعاني اللغوية، ثم تطورت دلالاتها فأعطت معاني جديدة تُزادُ على معانيها الأصلية، وهو ما عُرف بـ(المعنى الاصطلاحي).

لذلك كان منهج الأزهري بعيداً عن التأويلات التي تُخرج النص القرآني عن محتواه الحقيقي، ومن هنا تظهر أهمية تفسير الأزهري للشواهد القرآنية.

---

[١] كشف الظنون: ٤٤٨/١، ٤٦٥.

[٢] الأزهري والمعجمية العربية، الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م. ص٢٨.

[٣] تهذيب اللغة: ٧/١.

المبحث الثاني

معاني القرآن في الشواهد القرآنية من سورة البقرة

لقد ذكرت آيات من سورة البقرة في كتاب التهذيب في عدة مواضع و فسرها الأزهري بتوضيحه للفظ الوارد من خلال مادته التي يحاول شرحها، ثم يستطرد بها إلى معان أخرى وكان لتفسير هذه السورة نصيب في هذا الكتاب لطولها أولاً، ولحاجة المؤلف لألفاظها من أجل شرح المادة ثانياً وكذلك تصدرها وأهميتها في القرآن الكريم، وقد بلغت هذه الشواهد سبعة عشر شاهداً وهي كما يأتي:–

الشاهد الأول:

قال تعالى:چ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ چ البقرة: ٥. قال الأزهري في باب (فَلَحَ) مفسراً معنى (المُفْلِح) في الآية: " قال أبو إسحاق في هذه الآية: يقال لكل من أصاب خيراً مفلح" [١].

وهو لا يكتفي بهذا التفسير، بل نجده يذكر وجوهاً أخرى فيقول: " قال الليث في قوله جل وعز: چ □ □ □ □ □چ أي: ظفر بالملك من غلب" [٢]

فهو بذلك ينقل لنا أوجها متنوعة ومتقاربة المعاني غير متضادة فيما بينها بحيث لا تؤدي إلى وقوع اللبس، فإصابة الخير هي نفسها الظفر بالملك لا يفترقان سوى أن الأُولى أعم من الثانية.

---

[١] تهذيب اللغة: ٥،٧٢.

[٢] المصدر نفسه.

كما أننا نراه ينقل التفسير عن غيره ،وهو لا ينقل إلا عن ثقة وقد اعتمد في ذكر هذه المعاني على من سبقه من المفسرين. ويبدو لي أنّ ما ذكره جزء مما نقله ابن جرير(ت ٣١٠ هـ) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قوله في تفسير الآية: " أي الذين أدركوا ما طلبوا ،ونجوا من شر ما منه هربوا ، ومن الدلالة على أحد معاني الفلاح إدراك الطِلبة، والظفر بالحاجة" [١].

والحقيقة أننا نلحظ من تفسير هذه الآية، أن الأزهري لم يعرض رأيه وإنما اكتفى بذكر آراء اللغويين، ولم يتعرض ويتوسع في المعنى المجازي الذي يوجد في الآية كما فعل القرطبي فيما بعد إذ قال: " وقد استعمل الفلاح في السحور" [٢].

كما أن الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) يذكر أصلاً لغوياً للفلاح فيقول: "والفلاح أصله باللغة الشق والقطع"[٣].

والذي يبدو لي أن تفسير الأزهري لهذه المفردة (المفلح) اقتصر على النقل وبهذا يتضح لنا منهجه وهو الاعتماد على التفسير بالمأثور في مواضع عدة.

الشاهد الثاني:

قال تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي چ البقرة: ١٦. قال الأزهري شارحاً لفظة (ربح) في هذه الآية: " قال الليث: ربح فلان وأربحته، هذا بيع مربح إذا كان يُرْبَحُ فيه، والعرب تقول: (ربحت تجارته) إذا ربح صاحبها فيها قال تعالى: "□ □ □ " ويقال أعطيته المال مرابحة، على أن الربح بيني وبينه" [٤].

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ضبط وتعليق محمود شاكر، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ١/ ١٢٥.

[٢] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ١ /١٢٨.

[٣] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ-١٨٣٤م) دار الخير، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٩م، ١ / ٣٦-٣٧.

[٤] تهذيب اللغة، ٥ /٣١.

فنجد أن الأزهري يسوق الآية شاهداً لتوثيق معنى لغوي فهو يعتمد أحيانا على إيراد تفسيره للآية لغرض إزالة إبهام عن لفظة في مادته، كما أنه لا يكتفي بقول واحد وانما يذكر آراءً فيها فيقول: "هذا قول الليث، وقال غيره بعته السلعة مرابحة على كل عشرة دراهم درهمٌ، وكذلك اشتريته مرابحة، ولا بد من تسمية الربح" [١].

ويُلحظ على الأزهري أنه يصرح بأسماء اللغويين في مواضع ويغفلها في مواضع أخر، ولعل ذلك من دواعي الاختصار في إيراد هذه الأسماء.

كما نجده يغفل معاني مجازية في الآية، فهو يذكر أن الربح يسند إلى صاحب التجارة ولا يفسر السبب بإسناد الفعل إلى التجارة وليس إلى صاحبها في هذه الآية، وهذا ما ذكره الرازي (ت٦٠٦هـ) إذ قال: "هو من الإسناد المجازي، وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشتري" [٢].

وما أجمل ما ذهب إليه بديع الزمان النورسي في تفسيره لهذه الآية: من أنَّ في إسناد الفعل إلى التجارة مع أن الأصل فيها ربحوا في تجارتهم إشارة إلى أن تجارتهم هذه بجميع أجزائها وكل أحوالها لا فائدة فيها لا جزئياً ولا كليا، ولا كبعض التجارات التي يكون في محصلها ربح، ولكن في أجزائها فوائد، اما هذه فشر محض وضرر بحت[٣].

والذي أراه أن الأزهري لم يكن له جهد في تفسير هذه الآية سوى أنه نقل الأقوال من كتاب العين[٤]، ولم يعلق عليها، فغابت شخصيته المعروفة في تفسير هذه الآية، فكان ناقلاً لا غير.

الشاهد الثالث:

---

[١] تهذيب اللغة، ٥ /٣١.

[٢] مفاتيح الغيب، لمحمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين (٥٤٤–٦٠٦هـ) قدم له: خليل محيي الدين الميس، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١ /٨٠.

[٣] ينظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي: ١/١١٥.

[٤] كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، ٣/٢١٧.

قال تعالى: چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ البقرة: ٧٤

قال الأزهري في تفسير هذه الآية: "وقد علم الله هبوطها من خشيته، ولم يعرفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا ولا ندعي بما لم نكلف بأفهامنا من عِلم فِعلها كيفية نَحُدُّها "[١].

فنجد أنه لا يعتمد على التأويل في تفسير هذه الآية، فالهبوط عنده أمر غيبي يحتاج إلى إسناد صحيح يرجع إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) لذلك نراه ينتقل مباشرة إلى شرح صفات الله تعالى خاصة تنزهه سبحانه فيقول: "ومن صفات الله جل وعز السبوح القدوس، قال أبو إسحاق: السبوح: الذي تنزه من كل سوء والقدوس: المبارك وقيل: الطاهر" [٢].

فنرى الأزهري يبتعد عن تفسير الهبوط في الآية إلى شرح الأسماء والصفات لله تعالى فأورد اسمين من أسماء الله الحسنى يدوران حول تنزيه الله تعالى وأنه جل جلاله أعلم بالمراد، فكيفية هبوط الحجارة من خشية الله لا يمكن تصورها، لأنه سبحانه لم يخبرنا بها، فهو إذن لا يؤول الآيات العقائدية، إلا بورود نص من الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة رضي الله عنهم.

ولكن القاسمي ذكر عن ابن جرير قوله: " اختلف أهل النحو في معنى الهبوط – ما هبط من الأحجار من خشية الله – فقال بعضهم: إن هبوط ما هبط منها من خشية الله تفيؤ ظلاله، وقال آخرون: ذلك الجبل الذي صار دكاً إذ تجلى له ربه"[٣].

والحقيقة أن الأزهري لم يتأول الآية، ولم ينقل عن الآخرين ؛ لعدم اطمئنانه لتفاسيرهم هذه وإلا لنقلها عن ابن جرير خصوصاً أنه يميل إلى تفسير المأثور الذي يتميز به الطبري، وأنا أعد هذا جيداً – بحسب علمي – وذلك؛ لأن كلام الله تعالى لابد أن يفسر بما أراد الله تعالى، وما نقله عنه رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) من الأمور الغيبية، التي لا يمكن أن يدركها العقل البشري.

---

(١) تهذيب اللغة، ٥ / ٣١.

(٢) المصدر نفسه، ٣١/٥.

(٣) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ-١٩١٤م) تحقيق حمد بن علي، وحمدي صبح، دار الحديث القاهرة، ١ /٣٦٧.

وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدة المعنى مما تحتمله الآية، فإن تأويل أهل التفسير من علماء سلف الأمة يخالفها، فلذلك لم يجترئ الأزهري صرف تأويل الآية إلى معنى آخر.

الشاهد الرابع:

قال تعالى:چ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ چ البقرة من الآية: ٨٣ ، قال الأزهري مفسراً هذه الآية في مادة (حسن) " أي قولاً ذا حُسن، والخطاب لليهود: أي اصدقوا في صفة محمد(صلى الله عليه وسلم) "[١] فهو هنا يذكر بأن هناك حذفاً للمفعول المطلق (قولاً) وحلت الصفة مكانه، كما أنه يخص هذا القول بأنه عن صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقط، بأن أمروا بالصدق في صفته المذكورة عندهم بالتوراة.

والذي ظهر لي أن هذا التأويل مأخوذ من قول لابن جريج نقله في قوله: "قال صدقاً في شأن محمد (صلى الله عليه وسلم) "[٢].

وفات الأزهري أن ينقل في تفسيره لهذه الآية ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال في تفسير هذه الآية: " أمرهم أيضاً بعد هذا الخلق، أن يقولوا للناس حسناً، أن يأمروا بـ"لا إله إلا الله" من لم يقلها ورغب عنها، حتى يقولوها كما قالوها، فإن ذلك قربة من الله جل ثناؤه" [٣]. فنرى أنه لا يوجد في هذا التفسير تخصيص في الخطاب لليهود أو غيرهم، كما أنه لا يقصد أو يحدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أبداً، بل إن سفيان الثوري لا يحدد حتى القول مطلقاً كما نقل ذلك ابن جرير عنه بقوله: " مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر" [٤]. فالقول الحسن عنده غير محدد فكل قول فيه أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، فهو حسن وبذلك فقد اتفق الأزهري مع ابن جرير في تفسيره، واختلف مع الآخرين في هذه الآية وهذا دليل واضح على أن الأزهري لم يكن ناقلاً فحسب بل يختار من الأقوال ما يراه مناسباً لمعنى الآية.

---

[١] تهذيب اللغة، ٤ /٣١٧.

[٢] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١ /٤٣٦.

[٣] ينظر: المصدر نفسه.

[٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١ /٤٣٦.

الشاهد الخامس:

قال تعالى: ﭽ ﮏ ﮐ ﯗ ﯘ ﭼ البقرة من الآية: ٨٧ **قال الأزهري مفسراً كلمة الروح في هذه الآية: "هو جبريل عليه السلام"** [١] **والحقيقة أنه قد اختلف في تأويل قوله (بروح القدس) قال الطبري: " اختلف في تأويل قوله (بروح القدس) فقال بعضهم (روح القدس): هو جبريل عليه السلام وقال آخرون: (الروح) الذي أيد الله عيسى هو الإنجيل "**[٢].

ولكن ابن جرير، يرجح الرأي الأول فقال: " قال أبو جعفر وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: (الروح) في هذا الموضع، جبريل، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله:ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ المائدة:من الآية ١١٠ **فلو كان الروح الذي أيده به هو الإنجيل لكان قوله(** ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ **) و (**ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ **) تكرير قول لا معنى له"** [٣].

ولذلك فقد اطمأن الأزهري إلى رأي ابن جرير هذا،فنقله كما هو،ولم يعلق عليه مكتفيا بترجيح ابن جرير.

الشاهد السادس:

قال تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ البقرة من الآية: ١٣٥، **قال الأزهري مفسراً هذه الآية: " وقال أبو عبيدة: من كان على دين إبراهيم** (عليه السلام) **فهو حنيف، قال: وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم** (عليه السلام)**، فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفاً، وقال الأخفش: الحنيف المسلم، وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت**

---

[١] تهذيب اللغة، ٥ / ٨٠.

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١ / ٤٤٨-٤٤٩.

[٣] المصدر نفسه.

حنيف، لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم (عليه السلام) غير الختان وحج البيت، فكل من اختتن وحج قيل له حنيف، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية، فالحنيف: المسلم "[١].

فنجد أن الأزهري يسوق الأقوال وينسبها إلى قائليها، وهذه أمانة في نقله، وهذا ما يتميز به، ثم أنه بعد ذكره لعدة آراء، ختم هذه الآراء بقوله الحنيف أي المسلم، واستدل بأقوال اللغويين لتقوية رأيه، وهذا يدل على أن الأزهري لم يخالف ابن جرير في تفسيره لمعنى (الحنيف) بل ذكر جملة أقوال وختمها بترجيحه لواحد منها.

فالحنيف عند الأزهري: الاستقامة على دين إبراهيم (عليه السلام) واتباعه على ملته، وهذا القول لا يتنافى مع قول الأزهري، وهذا ليس اختلاف تضاد، بل اختلاف تنوع، فالاستقامة على دين إبراهيم واتباع ملته هو الإسلام.

والحقيقة أن الخليل كان أكثر دقة في تفسيره لمعنى الحنيف، فقال: " الحنيف في قول المسلم: الذي يستقبل القبلة " البيت الحرام " ملة إبراهيم حنيفاً مسلما"[٢] .

فقد خصص اللفظة، في حين أطلقها الأزهري بلا تخصيص، ويبدو لي أنه ليس كل مسلم حنيفاً، ولكن كل حنيف مسلم، فالذي يتجه إلى القبلة يكون قد انحرف إليها مسلماً لله تعالى والله أعلم.

الشاهد السابع: قال تعالى: چ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ چ البقرة من الآية: ١٧٩

قال الأزهري مفسراً معنى الحياة في الآية: " أي منفعة، ومنه قولهم ليس بفلان حياة أي: ليس عنده نفع ولا خير" [٣] والتفسير في سياقه معنى (الحياة).

---

[١] تهذيب اللغة، ٥ /١١٠.

[٢] كتاب العين، ص٢١٧.

[٣] تهذيب اللغة، ٥ /٢٨٥.

فنجده هنا قد استعمل المجاز في تفسيره، وابتعد عن الأصل اللغوي لها، بل اعتقد أن هذا الرأي هو قول للأزهري نفسه، لأن ابن جرير من علماء التفسير ولم يورد قولاً يتفق مع ما ذهب إليه، فذكر ابن جرير: قال " قال ابن جريج: حياة، منعة، وقال أبو زيد: حياة بقية، وعن أبي صالح: قال: بقاء، وقال آخرون: معنى ذلك ولكم في القصاص من القاتل بقاء لغيره، لأنه لا يقتل بالمقتول غير قاتله في حكم الله، وكانوا في الجاهلية يقتلون بالأنثى الذكر، وبالعبد الحر وعن السدي، يقول: لا يقتل إلا القاتل بجنايته "[١].

فالأزهري عالم كبير وله رأيه، ومع هذا فأرى أن تفسيره للحياة بالمنفعة لا يعارض أقوال المفسرين الآخرين، فهو اختلاف وتنوع في المعنى والمراد واحد وهو في القصاص حياة وبقية ومنفعة الآخرين.

وكانت العرب تقول جملة هي أبلغ ما قالته العرب في قضية القصاص وهي (القتل أنفى للقتل) فهي قصيرة بليغة في النثر، والمقصود منها: أن القاتل الذي يقتل بغير حق فإن ذلك مدعاة له أن ينصرف عن عمله القبيح ولذلك فإن القتل سيكون رادعا للقاتل فلا يقتل، ولكن القرآن الكريم عبر عن هذا المعنى بقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) فأعطتنا قانوناً في الظروف والحالات كافة في حين أن مقولة العرب هي حالة خاصة بالقتل وحسب فليس عموم القتل يؤدي إلى القتل، فالقتل العدل لا يجوز فيه القتل أما إذا كان القتل الذي فيه قصاص – أي غير العدل – فهو مختص لأنه قتل بغير ذنب.

كما أن القصاص سيكون سبباً في استواء حياة البشر وذهاب الظلم عنهم ولكن القتل لا يفيد ذلك – والله اعلم –.

الشاهد الثامن:

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

والخيط الأسود دونه في الإنارة لغلبة سواد الليل عليه، ولذلك نعت بالأسود، ونعت الآخر بالأبيض، والحبل والخيط قريبان من السواء"[١].

فنجده يستعمل لفظة لا توجد في الآية نفسها ولكن بوجود مرادف لها، في تفسير آية من أجل تقريب المعنى، فهو يفسر لفظة لبيان لفظة أخرى، فقد كان يتكلم قبل هذه الآية على مادة (حبل) فقال: " وفي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) (أوصيكم بالثقلين كتاب الله وعترتي)، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض" [٢]، قلت –أي الأزهري– وفي هذا الحديث اتصال كتاب الله جل وعز به،وإن كان يتلى في الأرض وينسخ ويكتب، معنى الحبل الممدود نور هداه، والعرب تشبه النور بالحبل والخيط"[٣]. فالأزهري يفسر لفظة، ثم يأتي بالتفسير لآية تحوي لفظة مرادفة لها، بل هو يقرّ بالترادف بينهما، وقد خالف في تفسيره هذا الخليل الذي قال:" الخيط الأبيض من الخيط الأسود يعني الصبح"[٤].

لكنا نجد الأزهري يتفق مع ابن جرير الذي قال: " قال بعضهم يعني بقوله (الخيط الأبيض) ضوء النهار، وبقوله (الخيط الأسود) سواد الليل، فتأويله على قول قائلي هذه المقالة: وكلوا بالليل في شهر صومكم واشربوا وباشروا نساءكم مبتغين ما كتب الله لكم من الولد، من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده" [٥].

وبذلك فقد خالف الأزهري في تفسيره رأي الخليل الذي لم يفصل بين الخيطين الأبيض والأسود فجمعهما بكلمة (الصبح)، ولكنه وافق رأي ابن جرير في الفصل بينهما.

---

[١] تهذيب اللغة، ٥ /٢٨٥.

[٢] سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي – بيروت باب مناقب أهل البيت، ٦٦٣/٥، ونص الحديث: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي".

[٣] تهذيب اللغة، ٥ /٢٨٥.

[٤] كتاب العين، ص٢٧٦.

[٥] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢ /١٧٧.

الشاهد التاسع:

قال تعالى:چ ُ ُ ّ ّ ٰ ٰ چ البقرة من الآية: ١٩٦، **قال الأزهري في مادة (حصر) مفسراً الآية: "ويقال: قوم محصورون إذا حوصروا في حصن وكذلك هم محصورون في الحج"** [١].

فنجده يفسر الآية برأيه من غير الرجوع إلى أقوال الآخرين، ولكن يقيس على أقوال لغويين لم يذكرهم، بل إنه يكثر ويوسع في المعنى فيقول: "قال: ورجل حصور إذا حصر عن النساء فلا يستطيعهن"[٢].

فهو بذلك يعدد وجوه التفسير لمادته، ولا يكتفي بذلك بل يذكر مشتقات اللفظة فيقول: "وقال الليث " الحصار الموضع الذي يحصر فيه الإنسان، تقول: حصروا حصراً وحاصروه"[٣].

وقال أيضاً: "قال ابن السكيت: يقال أحصره المرض إذا منعه من السفر أو من حاجة يريدها، وحصره العدو إذا ضيق عليه، فحصر أي ضاق صدره، وقال أبو إسحاق النحوي الرواية عن أهل اللغة أن يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصر، قال: ويقال للمحبوس: حصر، وقال: وإنما كان ذلك كذلك لأن الرجل إذا امتنع من التصرف فقد حصر نفسه، فكأن المرض حبسه أي جعله يحبس نفسه، وقولك: حصرته إنما هو حبسه لا لأنه حبيس نفسه فلا يجوز فيه أحصر"[٤].

---

[١] تهذيب اللغة، ٤ /٢٣٢.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] المصدر نفسه.

[٤] المصدر نفسه.

وقد نقل الأزهري هذه الأقوال المختلفة عن اللغويين، ولكنه وقف حكماً عليهم لذلك رجح من بين الآراء رأياً يستدل به بأدلة من السلف الصالح،فيقول معلقاً على الآراء: "قلت: أي الأزهري – وقد صحت الرواية عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو"(١).

فهو يميل إلى الرأي الذي يقول لا حصر من النفس وإنما لا بد أن يكون العامل خارجياً عن الذات يحبسه فيطلق عليه (حصر) وهو بذلك يستدل بقول لابن عباس (رضي الله عنهما)، وبالصحيح مما ينقل عنه، وهذا من سمات تفسيره ومنهجه.

الشاهد العاشر:

قال تعالى: چ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ البقرة: من الآية ٢٠١. قال الأزهري في مادة (حسن) مفسراً الآية: "أي: نعمة، ويقال حظوظ حسنة، وقوله تعالى: چ ﭑ ﭒ ﭓ چ أي: نعمة، وقوله چ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ چ أي غنيمة وخصب"(٢).

فنجده يسوق شواهد قرآنية متعددة في تفسير لفظة واحدة، فيستعمل المنهج الاستقرائي ويستقصي كل جوانب مادته فيعطيها عدة معانٍ بلا تعارض وقد نقل عنه القرطبي هذا المعنى أيضاً فقال: "قال قتادة: حسنة الدنيا العافية في الصحة وكفاف المال، وقال الحسن: حسنة الدنيا العلم والعبادة، وقيل غير هذا، والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين نعم الدنيا والآخرة وهذا هو الصحيح، فإن اللفظ يقتضي هذا كله، فإن (حسنة) نكرة في سياق الدعاء فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل، وحسنة الآخرة: الجنة بإجماع"(٣).

فنجد أن القرطبي يرجح رأي الأزهري في هذه الآية، بل إن أكثر أهل العلم على هذا الرأي بحسب ما ذكر دلالة على فطنة الأزهري بالتفسير، حتى إن السعدي (١٣٠٧هـ – ١٣٧٦هـ) ذكر ذلك أيضاً فقال: "والحسنة المطلوبة في الدنيا، يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تهذيب اللغة، ٤ /٢٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) قدم له: خليل محيي الدين، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار، خرج حديثه خرفان العشا، دار الفكر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، بيروت لبنان، ٣٣٤/١.

من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقربه العين، وراحة وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة"(١).

أي: نعمة تقع للإنسان في الدنيا تعد حسنة، فاتفق هذا التفسير مع تفسير الأزهري.

الشاهد الحادي عشر: قال تعالى: چ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ چ البقرة من الآية: ٢٢٢

قال الأزهري في مادة (حاض) مفسراً الآية: "قال أبو إسحاق: يقال: قد حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً"(٢).

فنجده بدأ تفسيره بذكر التصاريف للفعل، فذكر أولاً الفعل الماضي ثم مضارعه، ثم أنواع مصادره، وهذه منهجية جيدة في تفسيره، بل إنه يذكر بعد ذلك أوزان المصدر في هذا الباب "قال: وعند النحويين أن المصدر في هذا الباب بابه المْفعَل والمْفعِل"(٣).

وهو بذلك لا يفسر فقط وإنما يضبط أحوال الكلمة ومشتقاتها قبل القيام بتفسيرها، ثم ينتقل إلى تفسير المادة فيقول:"وقال غيره المحيض في هذه الآية المأتي من المرأة،لأنه موضع الحيض، فكأنه قال: اعتزلوا النساء في موضع الحيض ولا تجامعوهن في هذا المكان"(٤) .

فهو ينقل رأي المفسر ثم يوضح كلامه، فهو ليس ناقلاً فقط بل هو حكم على الآراء يوضح الغامض، ويرجح الآراء.

وهو لا يكتفي بمعنى المادة بل يورد قضايا لغوية كظاهرة الإبدال التي أوردها في تفسير هذه الآية فقال: "ويقال: حاض السيل وفاض إذا سال، يحيض يفيض"(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ –١٣٧٦هـ) إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م، الكويت ص١٠٤.

(٢) تهذيب اللغة، ٥ /١٥٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

ثم إنه يذكر أقوالاً في الإبدال ولا يرجح أحدها فيقول: "وقال الحياني في باب الضاد والصاد: حاض وحاص بمعنى واحد، وقال أبو سعيد البغدادي الضرير ـ وكان مصدراً مهماً للأزهري في معاني الشعر والنوادر واللغة وغريب الحديث ـ إنما هو حاض جاض بمعنى واحد"(١).

وهو يستدرك في تفسيره للشاهد القرآني بمعانٍ على اللغويين فيقول في هذه الآية "ومعنى حيضت أي سيّلت، قلت: ومن هذا يميل للحوض: حوض الماء، لأن الماء يحيض إليه أي يسيل"(٢).

فالتفسير عنده يأخذ الجوانب كلها من لغة ونحو وصرف وبلاغة قرآنية زيادة على ذكر القراءات والحروف فقد قال في تفسير هذه الآية: "والعرب تدخل الواو على الياء، والياء على الواو لأنها من حيز واحد وهو الهواء، وهما حرفا لين"(٣).

وقال القرطبي: " وأصل الكلمة من السيلان والانفجار، يقال: حاض السيل، وفاض وحاضت الشجرة أي: سالت رطوبتها، ومنه الحيض، أي الحوض، لأن الماء يحيض إليه أي: يسيل"(٤).

وهذه المعاني كلها قد ذكرها الأزهري في تفسيره للآية.

الشاهد الثاني عشر:

قال تعالى: چ و ۆ ۇ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ البقرة من الآية: ٢٢٣، قال الأزهري في مادة (حرث) مفسراً للآية: "قال الزجاج: زعم أبو عبيدة أنه كناية، قال: والقول عندي فيه أي معنى (نساؤكم حرث لكم) فيهن تحرثون الولد واللذة، فأتوا حرثكم أنى شئتم، أي: ائتوا موضع حرثكم كيف شئتم مقبلة ومدبرة "(٥).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تهذيب اللغة ٤ /٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٢ /٦٤-٦٥.

(٥) تهذيب اللغة ٤ /٢٧٦.

وهو بذلك ينقل المعنى المجازي للكلمة، ولكنه بعد ذلك يعود إلى المعنى الحقيقي ناقلاً رأي المفسرين فيقول: (قال شمر: قال الغنوي: يقال: حرث القوس والكظرة وهو فرض، وهي من القوس حرث، وقد حرثت القوس أحرثها إذا هيأت موضعاً لعروة الوتر، قال: والزندة تحرث ثم تكظر بعد الحرث فهو حرث ما لم ينفذ فإذا أنفذ فهو كظر)(١).

فهو لا يكتفي برأي واحد بل يعدد مواضع استشهاده لمعنى واحد يريد توكيده وتوثيقه.

وقد ذكر السعدي تفسير هذه الآية فقال: "مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل لكونه موضع الحرث،وهو الموضع الذي يكون فيه الولد، فيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في تحريم ذلك، ولعن فاعله"(٢). فهو متفق مع الأزهري فيما أورده في تفسير هذه الآية.

الشاهد الثالث عشر:

قال تعالى:چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ چ البقرة من الآية: ٢٣٨. قال الأزهري مفسراً كلمة (حَفَظ) في هذه الآية: "المحافظة المواظبة على الأمر، قال الله عز وجل: (حافظوا على الصلوات) أي: واظبوا على إقامتها في مواقيتها، ويقال: حافظ على الأمر والعمل وثابر وحارض وبارك إذا داوم عليه، والحفاظ:" المحافظة على العهد والمحاماة على الحرم ومنعها من العدو، والاسم منه الحفيظة"(٣).

وبتفسيره هذا يفرق بين معاني المصادر بحسب صيغها المختلفة، فذكر المحافظة والحفاظ كلاً بمعنى يختلف عن الآخر، وبسبب صيغتها ووزنها الصرفي، وبذلك يدل على أن الأزهري فطن حذر في إيراد آرائه في التفسير.

---

(١) تهذيب اللغة ٤ /٢٧٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص١١٤.

(٣) تهذيب اللغة، ٤ /٢٦٥.

وقد ذكر السعدي هذا الرأي أيضاً فقال: "يأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى الصلاة الوسطى وهي العصر خصوصاً، والمحافظة عليها، أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر خصوصاً إذا أكملها"(١).

فالمواظبة على الصلاة تجعل الإنسان ينظم وقته فلا يهدره هباءً كما أنه سيحافظ على العبادات الأخرى ؛ لأنها الحافز المؤثر في ذلك وستنهاه عن الفحشاء والمنكر.

الشاهد الرابع عشر:

قال تعالى چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ چ البقرة من الآية: ٢٤٨. قال الأزهري في تفسير قول الله چ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ چ البقرة: ٢٤٨: "روي عن علي (رضي الله عنه)... أنه قال: لها وجه كوجه الإنسان، وهي بعد ريح هفافة، يقال: ريح هفافة أي سريعة المر في هبوبها، وجناح هفاف "خفيف الطيران"(٢).

فنجده قد نقل عن أحد الصحابة التفسير لأنه سلفي المذهب فيه، كما قال الدكتور رشيد العبيدي : "الأزهري سلفي المذهب في تفسيره"(٣) .

واتجاهه هذا مبني على أساس وسبب، حيث إنه يرى أن السلف أقرب إلى أصول اللغة العربية، وأعرف بسياق الكلام والتفسير، وهذا ما ذكره العبيدي حين قال: " واستوصوا به لما يذهب إليه السلف من التفسير مبني على أنهم أقرب إلى أصول العربية، وأعرف بسياق الكلام والتفسير ومن هنا كان تفسير ابن عباس – عنده – معمولاً به فهو يقول وعليه العمل"(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص١٢٢.

(٢) تهذيب اللغة، ٥ /٣٧٧.أخرجه ابن جرير في جامع البيان: ٥/٣٢٦، والدر المنثور للسيوطي:٣/١٤٤

(٣) الأزهري والمعجمية العربية، ص٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه.

ثم إن الأزهري لم يكن ناقلاً فقط بل مفسراً، له شخصية واضحة في هذا العلم، فظهر ذلك من خلال زيادته معاني، وتوضيح الغامض في هذه الآية.

وقد روى ابن كثير في معنى السكينة قولين(١).

عن مجاهد أنه قال: جناحان وذنب.

عن وهب بن منبه: السكينة رأس هرة ميتة، إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا النصر، وجاءهم الفتح.

والأزهري اطمأن إلى رأي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فذكره من غير الأقوال الأخرى، وزاد عليه ما يؤكد المعنى.

الشاهد الخامس عشر:

قال تعالى: ﭽ ﮭ ے ۓ ﮮ ﭼ البقرة من الآية: ٢٧٣، قال الأزهري مفسراً الآية:" قال الزجاج،روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم)أنه قال:من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف" (٢)،قال: ومعنى ألحف أي: شمل بالمسألة وهو مستغن عنها، قال:" اللحاف من هذا اشتقاقه؛ لأنه يشمل الإنسان في التغطية"(٣).

فهو يستشهد بالحديث الشريف لتوضيح معنى آية فيها غموض بل عنده التفسير بالأسانيد الصحيحة من أولوياته، فإن وجدت يصدرها بالمادة المراد تفسيرها.

وهذا واضح في تفسيره لهذه الآية، كما أنه يعدد الأقوال في اللفظة الواحدة وبصورة متناسقة لتقوية رأيه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ) مؤسسة المختار، ط١، ٢٠٠١م، ٢٩٦/١

(٢) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م، باب الإلحاف في المسالة ٢ /٥٢.

(٣) تهذيب اللغة، ٥ /٧٠.

ثم يذكر بعد ذلك أقوال اللغويين فيقول: " قال الليث: الإلحاف شدة الإلحاح في المسألة، أبو العباس عن ابن الأعرابي: ألحف الرجل إذا مشى في لحف الجبل، وهو أصله قال: وألحف إذا آثر ضيفه بفراشه ولحافه[١].

ويبدو لي أنه يذكر التفسير في الآية ثم يذكر – بعد ذلك – الأصل اللغوي لتقوية تفسيره الذي ارتضاه.

قال الرازي مفسراً الإلحاف: "إن كل من سأل فلا بد أن يلح في بعض الأوقات، لأنه إذا سأل فقد أراق وجهه، ويحمل الذلة في إظهار ذلك السؤال فيقول: لما تحملت هذه المشاق فلا أرجع بغير مقصود فهذا الخاطر يحمله على الإلحاف والإلحاح"(٢).

أي: أن الإلحاف عنده بمعنى الإلحاح.

الشاهد السادس عشر:

قال تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ البقرة من الآية: ٢٧٦، قال الأزهري مفسراً الآية: "أي يستأصل الله الربا فيذهب ربعه وبركته، وقال أبو زيد: محقه الله وأمحقه، وأبى الأصمعي إلا محقه، ويقال: محاق القمر ومحاقه، ومحق فلان بفلان تمحيقاً"[٣].

وهذا التفسير من عنده يذكره ثم يقويه بذكر أقوال اللغويين فيقول: أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: "أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء، ومنه قول الله (يمحق الله الربا) أي يستأصله الله "(٤).

وقال الرازي في تفسير المحق:"المحق نقصان الشيء حالاً بعد حال ومنه المحاق في الهلال يقال: محقه الله فانمحق وامتحق، ويقال: هجير ماحق إذا نقص في كل شيء بحرارته(١).

---

(١) تهذيب اللغة، ٥ /٧٠.

(٢) التفسير الكبير،١٠٣٤/١

(٣) تهذيب اللغة، ٤ /٨٤.

(٤) المصدر نفسه.

وقد ذكر السعدي يمحق الله الربا أي: "يذهبه ويذهب بركته ذاتاً ووصفاً فيكون سبباً لوقوع الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زاداً له إلى النار"(٢).

وأرى أن المحق هو الإزالة التدريجية حتى لا يبقى له أثر، وهو معنى الاستئصال الذي ذكره الزهري، وهو ما أميل إليه .

الشاهد السابع عشر:

قال تعالى: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چ البقرة من الآية: ٢٨٥، قال الأزهري مفسراً كلمة أحد في الآية: " روى أبو طالب عن سلمة عن الفراء: قال: (أحد) يكون للجميع وللواحد في النفي، ومنه قول الله جل وعز چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ چ الحاقة: ٤٧ جعل أحداً موضع جمع، وكذلك قوله: " لا نفرق بين أحد من رسله فهذا جمع؛ لأن (بين) لا يقع إلا على اثنين فما زاد"(٣).

فنجده يفسر الآية بالقياس على أقوال اللغويين عن آية أخرى، وهذا دليل على فطنته بالتفسير فهو يستقصي الأقوال ثم يوازن بينها، فيرجع المعاني المتشابهة إلى التفسير عن مادته.

وهو يقول إن (أحد) يمكن أن يكون دالاً على الجمع كما هو دال على المفرد وذلك إذا سبقه (بين) والتي لا تقع إلا بين اثنين أو جمع.

وقد خالفه الرازي في تفسير هذه الآية فقال: "وعندي أنه لا يجوز أن يكون أحد ههنا في معنى الجمع، لأنه يصير التقدير، لا نفرق بين جمع رسله وهذا لا ينافي كونهم مفرقين بين بعض الرسل والمقصود بالنفي هو هذا ؛ لأن اليهود والنصارى ما كانوا يفرقون بين كل الرسل، بل بين البعض وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) فثبت أن التأويل الذي ذكروه باطل، بل معنى الآية لا

---

(١) التفسير الكبير واسمه مفاتيح الغيب ١ / ١٠٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص١٣٧.

(٣) تهذيب اللغة،٥ / ١٩٦.

نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره بالنبوة، فإذا فسرنا بهذا حصل المقصود من الكلام، والله أعلم"(١).

فالرازي يخالف الأزهري في تأويل الآية بأن المقصود الفرق في صفتهم لا بذواتهم وهذا الرأي هو الذي أميل إليه كثيراً ؛ لأن لفظة أحد تدل على الصفات والواحد يدل على الذوات.

والأزهري ينفي وجود جمع للأحد فقال نقلاً: " عن ابن عباس: أنه سئل عن الآحاد أهي جمع الأحد ؟ فقال: معاذ الله ليس للأحد جمع، ولكن إن جعلته جمع الواحد فهو محتمل، مثل شاهد وأشهاد"(٢).

ولقد اختلف العلماء في مسألة الفرق بين الواحد والأحد على قولين:

القول الأول: إنهما اسمان مترادفان: وهذا ما ذهب إليه البَغوي في تفسيره إذ قال: "إذ الواحد إشارة إلى أن الأحد بمعنى الواحد"(٣).

فهو يقر بالترادف مطلقاً، ولكن الأزهري يقيد ذلك في الأعداد وبعد العشرة فقال: "فإذا أضيف الأحد قرب من معنى الواحد، وذلك أنك تقول قال أحد الثلاثة كذا وكذا، فأنت تريد واحداً من الثلاثة"(٤).

القول الثاني: إنهما ليسا مترادفين وهذا ما ذهب إليه علماء كثر منهم الأزهري فقال: " فأما اسم الله جل ثناؤه (أحد) فلا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال: رجل أحد، ولا درهم أحد ؛ لأن أحد صفة من صفات الله استأثر بها فلا يشركه فيها شيء، وليس كقولك الله واحد، وهذا شيء واحد، لأنه لا يقال: شيء أحد"(٥).

فهو إذن يفرق بينهما عندما يكونان صفة لله تعالى في حالة الإثبات حيث عنده لا تطلق كلمة "أحد" على الأعيان في حالة الإثبات ولكن ممكن إطلاق الواحد على الأشياء في الإثبات والنفي.

---

(١) التفسير الكبير، ١ /١٤٧.

(٢) تهذيب اللغة، ٥ /١٩٣.

(٣) معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود والفراء البغوي (ت٥١٦هـ) تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ٤ /٥٤٤.

(٤) تهذيب اللغة، ٥ / ١٩٢.

(٥) المصدر نفسه.

وقد اتفق ابن رجب الحنبلي معه في هذا الرأي فقال: "أحد اسم من أسماء الله يسمى به ولا يسمى غيره من الأعيان"(١).

فالأزهري يقر بترادفهما عندما يستعملان في الأعداد بعد العشرة، ولا يقر بترادفهما عندما يستعملان صفةً لله تعالى، فالأحد عنده الذي لا نظير له في صفاته، بينما الواحد الذي لا نظير له في ذاته.

وبذلك نجد أن الأزهري أولى اهتماماً بالغاً في شواهده القرآنية لسورة البقرة، التي استغرقت حيزاً كبيراً في كتابه التهذيب بجزأيه الرابع والخامس الذي كان مدار هذا البحث

الخاتمة

بعد هذه القراءة في كتاب التهذيب للأزهري بجزأيه الرابع والخامس وجدت نفسي عند موسوعة كبيرة من المعارف أتحرك وسطها، وكان لها أثر عظيم في نفسي خصوصا بعد الخوض في تفسير آيات " أو جزء " من آيات سورة البقرة بهذا الكتاب، وقد نتج من البحث جملة من النتائج منها:

١- أن الأزهري مفسر بارع، كما هو لغوي بارع، فيطرح آراء العلماء والمفسرين ثم يرجح بينها.

٢- كان رأيه واضحاً وجلياً في مواطن، وقد خالف كثيراً من المفسرين مما يدل على سعة علمه واطلاعه في هذا العلم العظيم.

٣- كانت الشواهد القرآنية لسورة البقرة في الجزأين الرابع والخامس من كتاب التهذيب قد بلغت (١٧) سبعة عشر شاهداً، وهي نسبة كبيرة إذا قيست بغيرها من السور القرآنية.

٤- غلب على الأزهري التأويل الظاهر والتفسير بالمأثور وابتعد عن التأويلات البعيدة.

٥- اتضحت عقيدته في أكثر من موضع فقد نهج منهج السلف في إثبات الصفات وعدم تأويلها وهو أصح المناهج وعليه جمهور أهل الحديث.

٦- أفاد الأزهري من علماء عصره في بيان المعاني القرآنية ومنهم الزجاج والفراء والمنذري الهروي وغيرهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١ الأزهري والمعجمية العربية،الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي،مطبعة المجمع العلمي (١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م).

٢ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: لبديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي.

٣ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله، تحقيق، العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، ١٩٧٨م.

---

(١) **تفسير ابن رجب الحنبلي لأبي فرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تعليق طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الرياض ٢ /٦٦٤.**

٤ تفسير ابن رجب الحنبلي، لأبي فرج عبد الرحمن بن الحنبلي، تعليق طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الطبعة الأولى(١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، الرياض.

٥ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠٠- ٧٧٤ هـ) مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٦ التفسير الكبير مفاتيح الغيب، لمحمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الرازي (٥٤٤هـ -٦٠٦ هـ)، قدم له: خليل محيي الدين الميس، دار الفكر، بيروت – لبنان.

٧ تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (٢٨٢هـ- ٣٧٠هـ) تحقيق عبد الكريم الغرباوي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب

٨ معاني القراءات، تصنيف أبي منصور الأزهري محمد بن أحمد تحقيق ودراسة الدكتور عيد مصطفى درويش والدكتور عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٩ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٠٧هـ – ١٣٧٦هـ) إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الربعة، (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م)، الكويت.

١٠ جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ) ضبط وتعليق محمود شاكر،تصحيح على عاشور، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)،بيروت –لبنان.

١١ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى،(١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

١٢ سنن الترمذي، محمد بن عيس أبو عيس الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣ السنن الكبرى، احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د- عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى (١٤١١هـ- ١٩٩١ م).

١٤ طبقات الشافعية الكبرى لمؤلف: الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ،الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو.

١٥ طبقات المفسرين للداوودي، تحقيق علي محمد عمير، مطبعة أميرة، الطبعة الثانية،١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٦ فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) دار الخير، الطبعة الأولى،(١٤١٢هـ -١٩٩١م).

١٧ كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، مطبعة دار ومكتبة الهلال، د- مهدي المخزومي ن د –إبراهيم السامرائي.

١٨ محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م) تحقيق أحمد بن علي، وحمدي صبح، دار الحديث، القهرة.

١٩ معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ) تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

٢٠ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، الناشر: دار صادر،سنة النشر: ١٣٩٧ – ١٩٩٣.

٢١ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: ١، ١٩٧١.